



وعلى سبيل المثال، خذ الشعراء
الفحول من أمثال أبي تمام الطائي
والبحثري وابن الرومي والمعري
وأبي نؤاس وغيرهم... أظن أن
أحدهم وصل إلى ما وصل بالراحة
والنوم؟ أم أصبح شاعراً مجلياً
بحفظه للأشعار، وإدمان النظر
فيها، واقتناصه شواردها، وكثرة
مخزونه منها؟

وأنا أذكر بعض الأمثلة على
ذلك، وما آتاه الله سبحانه لبعض
الأدباء والشعراء وسواهم من
الاستيعاب المدهش لأشعار العرب
وتراثهم التليد والطريف، وأبدأ
بأبي نؤاس الذي قال: «ما قلت
الشعر حتى حفظت شعر ستين
امراً فضلاً عن الرجال».

وروي أن أبا تمام الطائي قال
عن نفسه: «لم أنظم الشعر حتى
حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء
خاصة دون الرجال». وكان أبو تمام
هذا يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة
غير القصائد والمقاطع.

أما أبو الطيب المتنبي فقد
كان من المكثرين من نقل اللغة،
والمطلعين على غريبها، ولا يسأل
عن شيء إلا استشهد فيه بكلام
العرب من النظم والنثر. وتفوق
عليه المعري في ذلك.

فأين «شعراؤنا» اليوم من أولئك
الشعراء وأمثالهم؟ وكم بيتاً من
الشعر يحفظون أو حفظوا قبل أن

جاء في كلام أحد الأئمة: «اركب
الآذي تشرب الماضي». أما الآذي
فمعناه موج البحر، وأما الماضي
فهو العسل. والمعنى في هذه العبارة
واضح، وهو يقوم على الإصرار على
مواجهة صعوبات الحياة من أجل
تحقيق الغايات المنشودة والحصول
على الراحة التامة، كما قال أحمد
شوقي:

أعدت الراحة الكبرى لمن تعباً
وفاز بالحق من لم يأله طلباً
(لم يأله، بضم اللام: أي لم
يقصر في طلبه).

وقال أبو تمام الطائي:
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال إلا على جسر من التعب
وقال بعضهم:

اطلب ولا تضجر من مطلب
فأفة الطالب أن يضجراً
أما ترى الماء بتكراره

في الصخرة الصماء قد أثرا
(تضجر: بفتح الراء على حذف
نون التوكيد الخفيفة لضرورة
الشعر).

ومن أجل صعوبة العلم أو الأدب
كان العلماء والأدباء من السلف ومن
سار على نهجهم من الخلف يتوسلون
إليه بركوب الخطر، ومعاناة السفر،
وإدمان السهر، وكثرة النظر، وإعمال
الفكر. وبذلك كله ارتفع ذكرهم،
وعلا صيتهم، ولعت نجومهم على
مدى الأيام.

تذكرة للشعراء*



د. محمود فاخوري - سورية





المعري



أبو تمام



المتنبي

قائلاً: «فهذا ما حفظه أبو ضمضم، ولم يكن أكثر الناس رواية، وما أقرب أن يكون مَنْ لا يعرفه من المسمَّين بهذا الاسم أكثر ممَّن عرفه».

واجتمع ثلاثة من بني سعد يراجزون بني جعدة (أي يبارونهم في إنشاد الأراجيز يعني القصائد المنظومة على بحر الرجز). فقليل لأحد الثلاثة: ما عندك؟

قال: أرجزُ بهم يوماً كاملاً إلى الليل لا أعجز ولا أعيأ.

وقيل للثاني: ما عندك؟

فقال: أرجز بهم يوماً إلى الليل ولا أنقطع.

وقيل للثالث: ما عندك؟

قال: أرجز بهم يوماً إلى الليل ولا ينفد ما عندي.

فلما سمع بنو جعدة كلام الثلاثة انصرفوا وعدلوا عن مراجزتهم.

وأخيراً لیسَمع شعراؤنا الشباب قول الطائي الأكبر:

**ولكنني لم أحو وفرأ مجمعا
فصرتُ به إلا بشمل مبدد
ولم تعطني الأيام يوماً مسكناً
الذَّ به إلا بنوم مشرد**
وقال مائي الدنيا وشاغل الناس:

**دعيني أنل ما لا يُنال من العلا
فصعبُ العلا في الصعب والسهل في السهل**

(*) مجلة الضاد، العدد الثاني، ٢٠٠٩م، تصدر في حلب، سورية.

(**) أستاذ بكلية الآداب بجامعة حلب، عضو هيئة التحرير بمجلة الضاد.

ينظموا أنفسهم في سلك «الشعراء»؟ ولا أقول: كم قصيدة يحفظون من عيون الشعر العربي؟

حُكي أنَّ الأديب الكبير أبا بكر الخوارزمي (٢٨٣هـ) قصد حضرة صاحب بن عبَّاد، الوزير الأديب (٢٨٥هـ). فلما وصل إلى بابه قال لأحد حُجَّابه: قل للصاحب: على الباب أحد الأدباء، وهو يستأذن في الدخول.

فقال صاحب: قل له: قد ألزمت نفسي ألا يدخل عليَّ من الأدباء إلا مَنْ يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب. فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك. فقال أبو بكر: ارجع إليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب وأعاد عليه ما قال، فقال صاحب: هذا يكون أبا بكر الخوارزمي. ثم أذن له في الدخول ورَّحَّب به وأكرمه.

وذكر ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» أنَّ رجلاً مسناً من حفاظ الشعر يدعى أبا ضمضم جاء إليه فتيان بعد العشاء يزورونه، فقال لهم: ما جاء بكم يا خبيثاء؟ قالوا: جئناك نتحدَّث. قال: كذبتُم، ولكن قلتم: كبر الشيخ، فعسى أن نأخذ عليه سقطة. ثم أنشدهم لمائة شاعر، وقيل: بل أنشدهم ثمانين شاعراً، كلهم اسمه عمرو.

قال الأصمعي راوي الخبر: فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثلاثين. ويعقب ابن قتيبة على ذلك